مجلة الترجمة واللغات المجلد 14 العدد 2015/01، ص. 231-242
Revue de Traduction et Langues Journal of Translation and Languages
ر ت م د :1112-3974, ر ت م د إ 2600-6235

الترجمة الأدبية وسؤال التأويل

Literary Translation and The Question of Interpretation

بلقاسمي حفيظة
Belkacemi Hafida
جامعة وهران1 أحمد بن بلة-الجزائر
University of Oran1 Ahmed Ben Bella-Algeria
witooyacine@yahoo.com
ميمون سميرة
Mimoun Samira
جامعة وهران1 أحمد بن بلة-الجزائر
University of Oran1 Ahmed Ben Bella-Algeria

Abstract: *The second half of the 20th century was particularly marked by the deepening of hermeneutical philosophy. This development has largely influenced various sciences and disciplines, in particular the arts and humanities. First, it was a question of studying the issues relating to modern man and his "existence" in the face of the "text" according to a hermeneutic approach. Philosophers of hermeneutics have been particularly interested in this discipline, not only because it derives from the Latin origin of its term but also because translation deals with the understanding of texts by exposing any language to the challenges of survival through relation to its culture and its identity Translation, being at the center of this uncertainty between the global and the local, the unique and the diverse, the global and the specific, had to be at the heart of the hermeneutic question, by introducing the interpretation in its dualities of "freedom and literalness", of "fidelity and infidelity".*
Keywords: Hermeneutical Philosophy, Interpretation, Translation, Literary Translation.

الملخص: شهد النصف الثاني من القرن العشرين مستجدات عميقة في مجال الفلسفة الهرمينوطيقية، وعرفت حقول الإنسانيات بعامة والأدب بشكل خاص تطورا كبيرا، حيث بدأت تتم معالجة سؤال التأويل في الأدب وفي حقول معرفية أخرى، وكذا كل الأسئلة المتعلقة بفهم الإنسان الحديث ووعيه بوجوده، وعلاقته بالنص والأدب من منظور تأويلي. ولم يكن سؤال التأويل والترجمة استثناء من هذا الانفتاح الكوني على أسئلة التأويل اللامحدودة ومقارباتها اللامتناهية. بل يمكن القول بأن فلاسفة التأويل ومنظريه قد أولوا الترجمة عناية خاصة ، ليس لأنها بقيت تحمل في أصل لفظتها اللاتينية علاقة حميمة بالتأويل ومعانيه فحسب، بل لأن الترجمة تُعرّض اللغة ، أيّ لغة، إلى رهانات استثنائية تخص فهم ثقافتها وهويتها العميقة .وعليه وجدت الترجمة نفسها في صلب هذا التمزق بين العالمي والمحلي ، والواحد والمتعدد، والكوني والخصوصي ، لذلك كان لا

المؤلف المرسل: بلقاسمي حفيظة

مناص لها من أن تكون في عمق إشكالية التأويل المتعلقة بفهم هذه الهوية المفارقة للإنسان والمعنى والثقافة، وأن يكون التأويل في صلب إشكالياتها المتعلقة بثنائيات: المحافظة أو الانفتاح، والأمانة أو الخيانة.
الكلمات المفتاحية: الفلسفة الهيرمنيوطيقية- التأويل- الترجمة – الترجمة الأدبي.

1.مقدمة

ظل المترجمون لزمن طويل متأثرين بالنموذج الفيلولوجي في الترجمة، هذا النموذج الذي لطالما طرح مشكل التكافؤ في النصوص الأدبية من خلال مقارنة اللغة الأصل باللغة الهدف. ولم تتغير الحال كثيرا بالتطور الذي شهده الحقل اللغوي من الفيلولوجيات إلى اللسانيات، حيث على الرغم من أنه تم تجاوز محاولة إقامة التكافؤ كلمة كلمة إلا أنه لم يتم الذهاب إلى أبعد من مقارنة التراكيب اللغوية بين اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها، وهكذا فقد بقي هذا الاتجاه اللساني المحض في الترجمة مهيمنا إلى زمن قريب.

وقد ساهمت النجاحات التي عرفتها النظرية البنيوية في منتصف القرن الماضي في رسوخ هذا التقليد إلى حد بعيد، بسبب نظرتها للكلمات والجمل بوصفها وحدات مستقلة بذاتها، لا يشكل النص إلا مجموعة العلاقات المختلفة والمتشابكة التي تربط بينها. وبظهور فلسفات القراءة والتأويل الحديثة بدأ التركيز ينتقل تدريجيا إلى النص نفسه بوصفه وحدة متكاملة لها معناها المستقل – والمرتبط أيضا- عن معاني أجزائه، مما يجعلها بالتالي تستجيب لقراءات متعددة، وهذا يشمل أي نص بما فيه النص المترجم.

إذن ما هو الجديد الذي تقدمه فلسفة التأويل لنظرية الترجمة؟ ولماذا التأويل في الترجمة؟ وأي معنى للتأويل هو ذاك الذي نحتاجه في الترجمة الأدبية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة سنتعرف في هذا المقال على أهمية مفهوم التأويل في الترجمة الأدبية، كما تناولته فلسفة التأويل أو الفلسفة الهيرمينوطيقية، وكما ألح عليه بعض من كبار منظري الترجمة المتأثرين بهذه الفلسفة من أمثال جورج شتاينر**(George Steiner)** وأنطوان بيرمان**(Antoine Berman)** .

2.التأويل في الفلسفة الهيرمينوطيقية

لا يتعلق التأويل بمجرد مفهوم بسيط أو منهج معزول أو نظرية محدودة بقدر ما يتعلق بفلسفة كاملة تشكلت عبر تطور تاريخي مفصلي في تاريخ الفلسفة بشكل عام، وتم رفدها بمفاهيم متنوعة ومساهمات رائدة

من طرف مجموعة من أكبر الفلاسفة والمفكرين على مدى القرنين الماضيين خاصة، وهذه الفلسفة ليست إلا الهيرمينوطيقا الحديثة[1].

ولئن كانت الهيرمينوطيقا القديمة تعنى بكلام الله أساسا[2]، فإن الهيرمينوطيقا الحديثة تعنى بفهم نصوص البشر. ولئن كانت الهيرمينوطيقا القديمة هي فن تفسير النصوص المقدسة، من منطلق نظرتها الخاصة إلى أن كلمة الله ليست مثل كلام البشر، وأنها تتطلب جهدا خاصا، وتحتاج إلى مجموعة من المهارات والخبرات والقواعد والمعايير في مقاربتها للنصوص، فإن الهيرمينوطيقا الحديثة ليست أقل منها مكابدة لمعنى النص البشري، من منطلق نظرتها إلى أن النص البشري لا يقل إشكالية في فهمه عن أي نص مقدس، وأنه هو الآخر يحتاج إلى معرفة نوعية وقواعد جوهرية للولوج إليه والتوغل في مسالكه ودهاليزه.

وهكذا فإن الهيرمينوطيقا الحديثة تكرس قطيعة جذرية مع الهيرمينوطيقا القديمة، باعتبار أنها جسدت الانتقال من عالم القرون الوسطى أي عالم اللاهوت والكتاب المقدس المتمركز حول فكرة الله، إلى عالم الوعي الحديث المتمركز حول فكرة الإنسان، المسلح بـ'كوجيتو' ديكارت وفلسفة كانط التنويرية ورومانسية القرن الثامن عشر، هذه الفلسفات والأفكار التي ثمنت من عقل الإنسان وذاتيته وحريته وإبداعه.

إذن فبزوغ الأزمنة الحديثة بكل ما حملته من ثورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، هو ما أدخل الحداثة إلى عالم استنباط المعاني وتأويل النصوص وفهم الدلالات، فغدا التأويل نشاطا تأمليا بشريا شاملا، موضوعه الإنسان واللغة بما يخلقانه من نصوص وأفعال لغوية في تلاقيهما الأبدي الذي لا يفتـر.

وهكذا ابتعد الفهم والتأويل عن عالم اللاهوت ليصبحا موضوعين مفضلين لعالم الفلسفة، بل ومركزيين في الفلسفة الهيرمينوطيقية، التي كان الفلاسفة الألمان أبرز روادها ابتداء من شلايماخر فدلتاي،

[1] ارتبطت ممارسة التأويل بالمصطلح اليوناني القديم الهرمينوطيقا، "وتعود لفظة "هرمينوطيقـا" إلى الفعل اليوناني **hermeneuein / ἑρμηνευειν** الذي يعني ثلاثة معان : أ) عبّر عن فكره بواسطة الكلام، ب) عرّف شيئا ما وأشار إليه و عرَضه ؛ ج) أوّل و ترجم. ومن ذلك**hermeneia /ἑρμηνεια** التي تعني "العبارة"، وهو عنوان أحد كتب أرسطو المنطقية Perihermeneias وما عرفه العرب تحت عنوان "في العبارة"، ولكن أيضا "تأويل فكر ما" ومنه "الإيضاح" و"التفسير". و **hermeneus** /ερμηνευς المؤوّل والمفسّر والمفهّم والترجمان"، ينظر: هانز روبرت جوس، "علم التأويل الأدبي،حدوده ومهماته"، ترجمة بسام بركة، في مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء العربي، بيروت، العدد3، 1988، ص 56.

2 ينظر: هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل: الأصول. المبادئ. الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف/ والدار العربية للعلوم ناشرون/ والمركز الثقافي العربي، الجزائر/بيروت، الطبعة الثانية، 2006، ص 63.

وصولا إلى هايدغر وغادامير، دون إهمال دور الفيلسوف الفرنسي الكبير بول ريكور في تعميق هذه الفلسفة وجلبها إلى الساحة الفرنسية.

إن مفهوم التأويل لم يقتصر على الفلسفة الهيرمينوطيقية التي هي فلسفة التأويل بامتياز، بل شاركتها في مقاربتها بمناهج وإجراءات مختلفة فلسفات أخرى مثل الفلسفة البنيوية وما بعد البنيوية التي راجت في فرنسا بخاصة، والفلسفة السيميائية الأمريكية، وكذا الفلسفة النقدية الألمانية التي لم تتخلف عن مناقشة مفهوم التأويل على الرغم من أنه لا يشكل موضوعها الجوهري؛ إلا أن هذا الامتداد الذي حظي به مفهوم التأويل ضمن هذه الفلسفات إنما يؤكد المعالجة الخاصة التي أولتها له الفلسفة الهيرمينوطيقية، إذ أنها لم تر فيه مجرد نشاط من النشاطات الكثيرة للبشر، بل رأت فيه النشاط البشري الأكثر جوهرية، باعتبار أن كل فعل بشري لا يمكن فصله عن اللغة، وبالتالي فلا بد أن يحمل في داخله تحديا تأويليا ما، حيث أن التأويل في النهاية ليس إلا محاولة فهم الذات والعالم عبر وسيط اللغة.

وهكذا فإن مقاربة الفلسفة الهيرمينوطيقية للتأويل إنما تميزت عن مقاربة باقي الفلسفات الأخرى للمفهوم، بتناولها للفهم تناولا وجوديا، حيث أن الإنسان لا يمكنه أن يوجد في العالم بدون الفهم، بل وأن العالم نفسه لا يمكنه ان يتكشف للإنسان إلا عبر الفهم؛ ولذا فإن "الفهم" كما هو عند مارتن هايدغر -أبرز وجه من وجوه الهيرمينوطيقا الحديثة- هو ذاته "نمط وجود الإنسان داخل العالم".[3]

3.النص الأدبي والترجمة عند فلاسفة التأويل

إننا عندما ندلف إلى عالم النص الأدبي، ونحن محملون بهذه الحمولة الهيرمينوطيقية المتميزة، سنكف على الفور عن رؤيته كما كنا نراه من قبل، لأنه لن يغدو مجرد جمل مركبة تحمل معنى مباشرا يمكن تلخيصه وإعادة صياغته، بل سيصبح حقلا فسيحا لمختلف الدلالات والإيحاءات التي سنكف معها عن الاعتقاد المباشر الساذج بأننا نحن من نضيف إلى النص الشروح والتعليقات، لنتفاجأ بأن النص هو في الحقيقة ما يضيف، إلينا وإلى معنى وجودنا ونوعية وعينا لتاريخنا ولثقافتنا ولما يحيط بنا، الكثير والكثير. وهذا الفهم الجديد للنص الذي تعلمنا إياه الفلسفة الهيرمينوطيقية ما هو إلا قليل من كثير مما تقوله لنا هذه الفلسفة عن

[3] يدعو هايدغر في كتابه الأساسي "الكينونة والزمان" هذا النمط من الإنسان المهموم بـــ"معنى وجوده بالعالم" ومقاربته عن طريق الفهم وحده بـ"الدّازَيــن" أو"الكينونة"، والذي يعتبر مفهوما محوريا في الفلسفة الهيرمينوطيقية. ينظر: مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص 52-53.

عالم النص والدلالة والمعنى والتأويل. وعليه، لا مناص من التسليم بأن النص المكتوب بلغة أخرى وضمن ثقافة أخرى، سيشكل دون أدنى شك محكا تأويليا بذبذبة أكبر مما هي عليه في النص المكتوب بلغتنا وضمن ثقافتنا، ولعله لهذا السبب بالذات ظلت الترجمة موضوعا حميما لدى فلاسفة التأويل.

يقـول فيلسوف التأويل بول ريكور: "هناك مدخلان يؤديان إلى المشكل المطروح من طرف فعل الترجمة، أن نأخذ كلمة "ترجمة" بالمعنى الدقيق الذي يعني نقل رسالة لسانية من لغة إلى أخرى، أو نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل نفس الجماعة اللغوية"[4].

فبول ريكور هنا يضع يده على جوهر كل ترجمة خلاقة، التي هي ترجمة لا ترضى بالاكتفاء بدور القناة السلبية التي تنقل الرسائل بين لغة وأخرى، بل تطمح في عمقها إلى أن تكون تأويلا حقيقيا يصنع المعنى والدلالة ويعيد تشكيل اللغة والثقافة داخل المجموعة اللغوية المترجم إليها.

وبالفعل، فالعلاقة بين الترجمة والتأويل تتسم بالكثير من التعقيد والتداخل، حيث أن التطرق إلى أحدهما سيقـود حتما إلى الحديث عن الآخر، لاسيما بعد أن غدت مبادئ التأويلية في أواخر تطورها المهيب، مع النصف الأول من هذا القرن، تسيطر على نظريات النص الأدبي، والعمليات الواقعة عليه بما فيها الترجمة، التي تبحث بدورها عن تحديد المعنى في هذا النص. ويمكن مرد ذلك إلى كون فعل "ترجم" هو أحد معاني الفعل اليوناني **hermeneuein /ἑρμηνευειν**، كما أوردنا في هامش سابق.

وقد عمّق من هذه العلاقة القديمة-الحديثة بين الترجمة والتأويل ظواهر عالمية الاتصالات وعولمة الاقتصاد والثقافة والسياسة والتكنولوجيا العابرة للقارات والفضاءات والأجواء، مما جعل اللغات والثقافات تطل على بعضها البعض في مناخ من التصارع والتكامل والتنافس، واضعة الوعي الحديث في مفارقة عجيبة، تجمع بين البحث عن ثقافة كونية إنسانية واحدة تتلاشى فيها الفروق والتمييزات، وبين التمسك بتعددية الثقافات في تنوعها وغناها وثراها، وما تحمله من رسائل تواترت عبر أسلافنا من خلال تاريخ عريق حافل، تعز على إنسانية الإنسان التفريط فيه.

وقد وجدت الترجمة نفسها في صلب هذا التمزق الشديد بين العالمي والمحلي، والواحد والمتعدد، والكوني والخصوصي. لذلك كان لا مناص لها من أن تكون في عمق إشكالية التأويل المتعلقة بفهم هذه الهوية

[4] بول ريكـور، عن الترجمة، ترجمة حسن خمري، منشورات الاختلاف/والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص31.

المفارقة للإنسان والمعنى والثقافة، وأن يكون التأويل في صلب إشكالياتها المتعلقة بثنائيات: المحافظة أو الانفتاح، والأمانة أو الخيـانة.

وهذا كله جعل الترجمة الأدبية بخاصة، تجد صعوبة في التعامل مع المشاكل التي يطرحها نقل معاني النص الأدبي، وتختلف عن تلك التي تواجهها ترجمة النصوص العلمية والتقنية، أو الوظيفية مثل النصوص الصحفية والسياسية والاقتصادية.

يقول هايدغر: "كل ترجمة هي في حد ذاتها تأويل، وهي تحمل في كينونتها أسس التأويل وانفتاحه ومستوياته الموجودة في الأصل والمجبرة على الصمت. وبدوره، فإن التأويل هو إنجاز الترجمة التي مازالت صامتة. [...] ووفق ماهيتهما، فإن التأويل والترجمة يشكلان شيئا واحداً."[5]

ويمكننا في النقاط التالية أن نلخص أهم المفاهيم التي يرى فلاسفة التأويل أنه على المترجم-أو المؤول أن يأخذها في حسبانه:

- **الحلقة الهيرمينوطيقية للفهم:** فالمترجم ينخرط في علاقته بالنص المترجم ضمن حلقة هيرمينوطيقية، تعطي بديلا فعالا للعلاقة الجامدة للمترجم مع النص التي تستهدف معنى واحدا متطابقا وكاملا، وتتجسد هذه الحلقة في ذهاب المترجم إلى النص ورجوعه منه، حاملا معه كل أحكامه المسبقة وثقافته عن النص وعن اللغة المترجم منها، محاولا في كل مرة يتفاعل فيها مع النص تعديل أحكامه ومواقفه تلك، وهنا يكون عليه دوما التمييز بين خلفيته الثقافية والمعرفية التي تقوم بتشويه النص، وبين خلفيته التي تقوم على العكس بوضعه ضمن معناه الحقيقي. فالمعنى الحقيقي غير موجود لا في النص ذاته ولا في ذهن المترجم، بل تتم مقاربته بصفة تدريجية ومستمرة عبر هذه المحاولة الدائرية للفهم التي يعقدها المترجم مع النص. ولهذا، كما يخبرنا غادامير، فإن نوعا من قابلية التأثير ومن المرونة ينبغي أن يتحلى بها المترجم في محاولة فهمه للنص، لكن هذا لا يعني بأي شكل من الأشكال الحياد أو نسيان الذات.[6]
- **مفهوم الأفق:** يفضي الانخراط في الحلقة الهيرمينوطيقية إلى انفتاح أفق القارئ/المترجم على آفاق أخرى يولدها النص، ويغدو معها النص إذن محكا لتوسيع الأفق الأولي الذي يدخل

[5] أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص 36.

[6] هانس جورج غادامير، المرجع السابق، ص 125.

معه المترجم النص الذي يريد ترجمته، وهو ما يجعل الفهم التدريجي المتراكم للنص عبارة عن تحريك لآفاق المترجم، يصل في النهاية إلى ما يدعوه غادامير "انصهارا للآفاق"[7]، يترتب عليه أن المترجم والنص لن يكونا في النهاية إلا واحدا. ولذا فإن فلاسفة التأويل لا يرون في المترجم مجرد وسيط بين لغتين، بل أكثر من ذلك يرونه مؤولا تنصهر بواسطته اللغتان معا، في أفق جديد حي[8].

- **مفهوم المسافة:** حيث ينبغي على المترجم بوصفه مؤولا أن يعي أن انخراطه في الفهم يفرض عليه دوما مسافة بينه وبين النص، بين خبراته وبين معارف النص، بين ثقافته وبين ثقافة النص، وأنه ينبغي منذ البداية أن لا يساء فهم هذه المسافة، وأن لا تعتبر عائقا أمام الترجمة، لأنها عبارة عن فجوة لن تردم أبدا، وأكثر من ذلك فإن هذه المسافة لو محيت منذ البداية لما كانت هناك حاجة للترجمة أصلا، ولأمكننا أن نتعامل مع لغة أجنبية كما نتعامل مع لغتنا الأصلية، فالترجمة نفسها تفترض هذه المسافة، وتعلم التعامل مع هذه المسافة واعتبارها إمكانية إيجابية لتعميق فهم النص هو جوهر ما تعلمنا إياه فلسفة التأويل دائما.[9]
- **مفهوم الضيافة اللغوية** : إذن وبعبارة دقيقة فإن وعي هذه المسافة ووعي استحالة تجاوزها لا يكون إلا "بتوظيف منطق الغيرية **l'altérité** في فهم الذات"[10]، حيث يصبح النص الذي أمامنا "آخـــر" ضروريا في إعادة بنائنا لذاتنا وبالتالي للنص الهدف الذي نريد تحقيقه من خلال الترجمة؛ وهنا يذهب بول ريكور في هذه الغيرية أبعد ما يمكن ويجعلها ضيافة لغوية حقيقية للآخر.

يقول بول ريكور: "تعوض الضيافة اللغوية إذن، بما هي لذة التوطن في لغة الآخر بالاستقبال في بيته والاستقبال في منزله الخاص، كلمة الأجنبي".[11]

---

[7] ينظر: هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى،2007، ص 417.

[8] Balacescu, I. & Stefanink, B. (2005). Défense et illustration de l'approche herméneutique en traduction. *Meta 50(2),* 636.

[9] ينظر: هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل: الأصول. المبادئ. الأهداف، المرجع السابق، ص 130.

[10] عيساني بلقاسم، "الترجمة–التناص-التأويل"، في مجلة تقاليد، العدد 5، ديسمبر 2013، ص 88.

[11] بول ريكور، عن الترجمة، المرجع السابق، ص 24.

إن مفهوم الضيافة اللغوية إذن يخلصنا من وهم الترجمة المثالية المطلقة، ويجعلنا أكثر أريحية وتسامحا في السعي إلى ترجمة إبداعية جيدة، يقول عنها ريكور إنها معادلة دون هوية[12]،والتخلي عن حلم الترجمة المثالية هو الحل لهذه المعادلة المستحيلة، وهو ما لن يبرئنا من الخيانة التي ستبقى بتعبير ريكور خيانة خلاقة للأصل، فالضيافة اللغوية تعلمنا دائما أنه عوض أن ننطلق من الكلمات الى أعلى، فإن علينا الانطلاق من أعلى من السياقات الثقافية إلى النصوص وصولا الى الكلمات.

فبالنسبة لريكور "لا يمكن تجنُّب ظاهرة سوء الفهم أو عدمه، وحلُّها بشكلٍ كاملٍ وحاسمٍ؛ لأنَّ الفهم الكامل ليس سوى وهمٍ لا يمكن تحقيقه، ولكن في سعينا لتجاوز سوء الفهم أو عدمه -لأقصى درجةٍ ممكنةٍ- ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أنَّ عدم الفهم أو سوءه ناتجٌ جزئيا عن عدم قابليَّة اختزال غيريَّة الآخر إلى ذاتيَّة الأنا".[13]ولذا فإن علينا ببساطة –ولكن بصعوبة كذلك- أن نحل الضيافة محل التملك.

- **شتاينر أو الاتجاه التأويلي في مواجهة الاتجاه اللساني في الترجمة:**

إن تأثر جورج شتاينر بالفلسفة الهيرمينوطيقية واضح جدا، فهو لا يرى أن على فعل الترجمة أن يقارب الهيرمينوطيقا فحسب، بل أكثر من ذلك أن التأخر الذي تعرفه الدراسات الترجمية إنما يرجع إلى أن الترجمة ليست علما بل هي "فن هيرمينوطيقي" بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وهو بذلك يتحدى بوضوح الاتجاه اللساني في الترجمة ويرمي إلى تجاوزه، ولقد جاءت عناوين فصول كتابه المركزي "ما بعد بابل" **After Babel** واضحة جدا في هذا الإطار، فقد كان الفصل الأول عن "الفهم باعتباره ترجمة"، وكان الفصل الرابع بعنوان "الحركة الهيرمينوطيقية" مشيرا إلى الترجمة بوصفها كذلك.

يرى شتاينر أن الترجمة بوصفها حركة هيرمينوطيقية تتشكل من أربع مراحل يطلق عليها تباعا: الثقة – الاعتداء أو الاقتحام – الاندماج – التعويض.[14] فضمن المرحلة الأولى يخضع المترجم للنص الأصلي ويثق في أنه يدل على معنى معين، رغم طابعه الذي يبدو غريبا عليه للوهلة الأولى، بمعنى أنه لا يمكنه ألا

[12] ينظر: المرجع نفسه، ص63.

[13] حسام الدين درويش، "الترجمة باعتبارها نموذجا إرشاديا للفهم"، في المجلة الإلكترونية التفاهم، العدد 42، 2013. عبر الرابط: http://tafahom.om/index.php/nums/view/12/252 (زيارة بتاريخ 2015/05/20).

[14] حسب تعبير شتاينر فالمراحل الأربعة ترد بالمصطلحات التالية:

"Trust, aggression, embodiment and restitution".

See: Steiner, George (1998 *After Babel: Aspects of Language and Translation*, third Edition, Oxford, Oxford University Press pp. 312-435.

يتوجه إلى النص بثقة وإيمان وإلا فإنه يخاطر بترجمة سيئة للنص. لكن المترجم في المرحلة الثانية لا يلبث أن يتحول من الثقة في النص إلى مهاجمته أو الاعتداء عليه، وفي هذه المرحلة يكون المترجم عازما على انتزاع شيء ما من النص وتملكه. وهنا فإن شتاينر يعود إلى أب الفلسفة التأويلية هايدغر الذي يعتبر أي فعل تفكير وأي تأويل هو في حقيقته فعل اعتداء وهجوم بمعنى الكلمة.[15]

لكن على المترجم ألا يكتفي بالانتزاع والتملك بل أن يمضي إلى الاندماج مع النص كما لو أنه غنم النص تماما، وهنا لا ينبغي عليه أن يبقى أسير هذه المرحلة وإلا فإنه يجازف بالسقوط في ترجمة تستلب النص وتضعه تماما تحت تصرف اللغة الهدف، وتأخذ منه روح الإبداع التي كانت تسكنه في اللغة المصدر، ولهذا على المترجم أن يمضي إلى مرحلة أبعد وهي مرحلة "التعويض"، وهي المرحلة التي يحاول فيها إصلاح ما أفسده، وإقامة التوازن بين النص الأصلي والنص المترجم، وهنا فقط يمكنه التساؤل حول مدى أمانته للنص، وهنا فقط يكون على المترجم فيما يراه شتاينر أن يقنع ببلوغ ترجمة جيدة، لأن الترجمة المثالية غير موجودة، ولأن الترجمة الجيدة لا يجب أن تكون هي الترجمة التي تقترح علينا حلا كاملا لمشكلة اقتحام النص وغرابته بقدر ما يجب أن تكون تلك الترجمة التي تجعل هذا النوع من الاستحالة معبرة وذات مغزى، ولا شك أننا نجد بوضوح أصداء مفاهيم الضيافة اللغوية والمسافة في مقترحات شتاينر هنا.

ويرى شتاينر أنه لا يمكن تحقيق هذه المراحل الأربع لحركة الترجمة كحركة هيرمينوطيقية إن لم يأخذ الفهم كامل بعده في الترجمة، وإن لم ينظر إلى الترجمة كنموذج للتواصل بين اللغات، هذا التواصل الذي لا يكون فعالا إلا حين يأخذ في الاعتبار هذه النزعة الانعزالية التي شكلتها كل لغة لنفسها بعد بابل.

- **التأويل كأخلاقية للترجمة عند بيرمان**

يذهب أنطوان بيرمان أبعد في تعميق هذا البعد التأويلي للنص في الترجمة التي يراها مكانا للبعد أو مقاما له في أحد أهم كتبه التي تحمل العنوان نفسه "الترجمة والحرف أو مقام البعد"، لكنه يرى أن هذا البعد كاستحالة وقدر للترجمة، هو ذاته مصدر التواصل الخاص الموجود في الترجمة، وفي مفهومه هذا للبعد نجد أيضا صدى مفهوم المسافة التأويلية عند فلاسفة التأويل، غير أن بيرمان لا يرى هذه المسافة مجرد محك لتواصل عادي بقدر ما يراها مناسبة لاقتراح "أخلاقية ترجمية" عميقة، لأن المترجم لا يحاول جعل رسالة النص الأصلي في متناول يد القارئ في اللغة الهدف فحسب، بل يحاول كذلك أن يكون أمينا على هذه

[15] SEE: STEINER GEORGE ,OP. CIT. P. 313

الرسالة دقيقا فيها، وهي المهمة التي تستحق لقب الأخلاقية بامتياز، لأنه لا يمكنها أن تتحقق في كامل وهجها دون الاعتراف بالآخر كآخر ودون تقبله، وهو التواصل العميق الذي يراه بيرمان أكثر حتى من تواصل مضاعف أو "تواصل للتواصل"، بل وانفتاحا على غرابة الآخر، وتمكينا له من التجلي داخل الذات المترجمة.[16]

إن الأخلاقية الترجمية، الموجودة عند بيرمان تحاول أن تتجاوز كل مفهوم تقليدي للترجمة حاولت نظريات الترجمة التأسيس له، ولا يكون ذلك، بحسبه دائما، إلا باستبدال الثنائية القديمة "نظرية/ممارسة" بالثنائية "تأمل/تجربة"، حيث يحل التأمل محل النظرية، وتحل التجربة محل الممارسة، وهو ما يجعل لفعل الترجمة خصوصيته داخل اللغة، فهو ليس جزءا من الأدب ولا جزءا من اللسانيات ولا جزءا من النقد، بل دراسة قائمة بذاتها تعارض حتى الترجمية نفسها باعتبارها فرعا معرفيا يفصل الترجمة عن تجربتها التأملية ليربطها بفروع أخرى كالمعلوماتية مثلا. إن بيرمان يقولها لنا بوضوح شديد وببلاغة آسرة "إن بإمكان الترجمة الاستغناء عن النظرية ولكنها في حاجة دوما إلى الفكر".[17]

ونتأسس الهيرمينوطيقا الترجمية عند بيرمان على متابعة ثلاثة مستويات: أفق الترجمة، وضعية الترجمة، ومشروع الترجمة. حيث تحاول أن تفهم في المستوى الأول استقبال العمل المترجم وتلقيه في فترة صدوره، ثم تأثير السياق الثقافي على الترجمة، وأخيرا محاولة التعرف على المبادئ التأويلية التي وجهت المترجم أثناء عمله.[18] إن هيرمينوطيقية بيرمان تسعى إذن أن تأخذ الترجمة في كلها وفي مفارقاتها المتعددة تماما كما يأخذها فلاسفة التأويل، الترجمة باعتبارها سؤالا موجها إلى الذات في علاقتها بالآخر الذي تريد أن تعانقه من خلال الفهم، ولذلك فهي تأويلية كلية

تأخذ في الوقت ذاته اعتبارات المعنى واعتبارات صعوباته، ومن ثمة فهي تسعى للتوفيق الدائم بين الأصل والترجمة، بين الأنا والآخر، بين المتمركز وغير المتمركز، بين المحلي والعالمي، بين المعنى والحرف، بين قابلية الترجمة واستحالتها، بين الأمانة والخيانة.

[16] ينظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص-ص 95-104.

[17] ينظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص 37.

[18]Voir : Kristeva Irena, Perspectives herméneutiques de la traduction : du dialogue herméneutique à l'hospitalité langagière. Signes, *Discours et Sociétés (3). Perspectives croisées sur le dialogue,* du 30 juillet 2009. En ligne sur: http://www.revue-signes.info/ document.php?id=1170. ISSN 1308-8378. (Consulté le :25/05/2015).

ولهذا يرجع بيرمان إلى هايدغر ليبين كيف أن الترجمة ليست مشروطة بالتأويل فحسب بل هي في حد ذاتها تأويل. وهكذا فإن أخلاقية الترجمة عند بيرمان تنفتح على التأويل في معناه الفلسفي العميق المتجاوز للنظرية، وبعبارة أخرى فإن الأخلاق الترجمية عد بيرمان تصير هي ذاتها الغوص فيما وراء النظرية، حيث تكف الترجمة أن تكون مجرد علم وتنطلق لتكون فلسفة كاملة، فالحوار بين الترجمة والفلسفة كان دائما موجودا وحميما كما يرى بيرمان.

وبالارتكاز على ما سبق ذكره، من الواضح جدا أن فلسفة التأويل أو الهيرمينوطيقا الحديثة لا تمدنا بتعليمات عملية حول كيفية ترجمة النصوص، وهو ما أفضى، من ناحية أولى، بالكثير من منظري الترجمة من ذوي الاتجاه اللساني إلى مهاجمتها[19] بوصفها لا تقدم حلولا مباشرة لمشاكل ملموسة يواجهها المترجم أثناء عملية الترجمة، كما أفضى، من ناحية ثانية، إلى بروز اتجاه تأويلي أكثر عملية، يختلف جذريا عن الاتجاه التأويلي الهيرمينوطيقي، وتمثله خاصة "المدرسة التأويلية لباريس"، التي تجرد التأويل من زخمه الفلسفي الذي تنظر له الهيرمينوطيقا، وتختزله إلى مجرد مفهوم تواصلي يتمثل في الاتكاء على السياق لفهم معنى النص، ثم إعادة الصياغة مباشرة.

غير أن هذا المفهوم المبسط للتأويل كإعادة صياغة، والذي نجد ما يقاربه في نظرية المكافئ الديناميكي عند نايدا، تعرض لهجوم حاد من طرف منظرين ترجميين من أمثال ميشونيك، وبيرمان، وأمبرتو إيكو فالتأويل الذي تحتاج إليه الترجمة الأدبية أكثر إبداعية وصعوبة من مجرد "إعادة الصياغة"، ولهذا فنحن نرى أن تسلح المترجم بالاعتبارات الهيرمينوطيقية أثناء قراءته للنص، وإن كان لا يمده بوصفات جاهزة لحل مشاكل ترجمية بعينها، إلا أنه يجعله أكثر رهافة حس وأكثر مسؤولية وأكثر تريثا وأكثر طرحا للأسئلة في تعامله مع النص المراد ترجمته، وهو ما من شأنه حثه للبحث عن ترجمة أكثر إبداعية وأكثر وفاء للنص في جماليتها، وهو بلا ريب طموح أي ترجمة أدبية.

[19] ينتقد جورج مونان في كتابه "اللسانيات والترجمة" بشدة المقاربة الهيرمينوطيقية للترجمة التي قام بها شتاينر في كتابه "ما بعد بابل"، وهو لا يراه مرجعا جيدا في الترجمة بقدر ما يراه كتابا في فلسفة اللغة، كما يرى أن الترجمة لا يمكنها أن تتقدم إلا بمقاربات علمية جادة، وأن نقد شتاينر للسانيات ليس له من سبب إلا لأن شتاينر لا يعرف اللسانيات جيدا. ينظر: جورج مونان، اللسانيات والترجمة، ترجمة حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص-ص 219-224.

المصادر والمراجع

[1]توفيق، خ (2013). نوادر الترجمة والمترجمين. -ط1- الجيزة: هلا للنشر والتوزيع.

[2]إيكو (أمبرتو)، أن نقول الشيء نفسه تقريبا، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2012.

[3]برمان (أنطوان)، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

[4]جوس (هانز روبرت)،"علم التأويل الأدبي، حدوده ومهماته"، ترجمة بسام بركة، في مجلة "العرب والفكر العالمي"، مركز الإنماء العربي، بيروت، العدد 3، 1988.

[5]درويش (حسام الدين)، «الترجمة باعتبارها نموذجا إرشاديا للفهم"، في المجلة الإلكترونية التفاهم، العدد 42، 2013. على الموقع :http://tafahom.om/index.php (زيارة بتاريخ: 2015/05/20).

[6]ريكور (بول)، عن الترجمة، ترجمة حسن نمري، منشورات الاختلاف/والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ بيروت، الطبعة الأولى، 2008

[7]عيساني (بلقاسم)،"الترجمة-التناص-التأويل"، في مجلة تقاليد العدد 5، ديسمبر 2013.

[8]غادامير (هانس غيورغ)، فلسفة التأويل: الأصول. المبادئ. الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف/ والدار العربية للعلوم ناشرون/ والمركز الثقافي العربي، الجزائر/ بيروت، الطبعة الثانية، 2006.

[9]غادامير (هانز جورج)، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2007.

[10] مونان (جورج)، اللسانيات والترجمة، ترجمة حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

[11] هيدغر (مارتن)، الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2012.

[12] BENYAMINA, H. (2007). Difficultés Rencontrées dans la Traduction des Termes à caractères Historique et Culturel du Russe vers l'Arabe. *Revue Traduction et Langues 6 (1),* 65-68.

[13] STEINER, G. (1998), *After Babel: Aspects of Language and Translation*, Third Edition, Oxford: Oxford University Press.

[14] BALACESCU, L & STEFANINK, Be, (2005*)*, Défense et illustration de l'approche herméneutique en traductio*n, Meta, 50(2)* 634–642.

[15] KRISTEVA, I. (2009), Perspectives herméneutiques de la traduction : du dialogue herméneutique à l'hospitalité langagière, In Signes, *Discours et Sociétés (3*). Perspectives croisées sur le dialogue. En ligne Sur : http://www.revue-signes.info/ document.php (consulté le : 25/05/2015)